

ولنا في أجسامنا من كريات الدم البيضاء خير واق من كثير من الميكروبات الضارة  
لان هذه الكريات تبتلعها فتتبع انتشارها وتولد الدم بمفرزاتها  
وقد علم ان التعب والجوع الشديد والتعرض للبرد جميع هذه تقلل مناعة الجسم  
فتزيد به تعرضاً لفعل البكتيريا السامة . وان الحوامض تخفف فتكها بكريات الدم الحمراء .  
وبعض الناس يمتنعون على بعض الامراض لعدم وجود لغة كيميائية بين خلايا اجسامهم  
وبين ميم البكتيريا وهذا هو السر في نجات الكثيرين من فعل الاوبئة في حين وقوع  
غيرهم فريسة لها

ويقال اجمالاً ان درس طبائع البكتيريا واخصاصها لقوة الانسان في كثير من  
الحالات من حسنات النصف الاخير من القرن الماضي الذي فتح باباً واسعاً للتوغل في  
البحث البكتيري الذي لا بد ان ينتهي الى كشف حقائق نافعة تدهش العقول بما تحده  
من الانقلاب في سير العمران وترقية حياة الانسان .

خليل سعد

بيروت

## آيات العادات

يقف الناظر في دواوين الادب ومجاميع الشعر والاخبار على آيات غامضة المعنى  
يشكل عليه فهمها بسميها علماء الادب بابيات المعاني . وقد دعوا قديماً بجمعها وتدوينها  
ومشرح معانيها وتفسير مستغلقها الا ان يد الضياع تلاعبت بتلك الموهبات فلم يصل اليها  
منها الا القليل ولم تقف على هذا النوع من الشعر الا مبعثراً مفرقاً في تضاعيف الاسفار  
المختلفة . اذكر انني كنت اراجع مرة في شرح القاموس مع الامير محمود سامي باشا  
البارودي فمر بنا قول القائل

فوردت مثل الجاني الهزاهز تدفع عن اعناقها بالاعجاز

فلم ينكشف لنا معناه مع اطالة الروية واجهاد الفكر الا بعد ان سألنا عنه استاذنا  
الامام الشنقيطي رحمه الله فقال هذا من آيات المعاني يذكر ابلا وردت غديراً كالسيف  
الصقيل في الصفاء وقوله تدفع عن اعناقها الخ يعني انها كثيرة الالبان ممثلة الصروع  
وضروعها في اعجازها فاذا نزل الضيوف بصاحبها قرام من لبها فأغنى ذلك عن غيرها  
فتكون دفعت عن اعناقها باعجازها قال ونظام الرجز ( اعيت على مقصدنا والرجاز ) انتهى

وقد عثرت على ضرب آخر من الشعراء لم يكن من هذا النقط فهو منه قريب  
رأيت ان اجمع ما تيسر لي منه واسميه ( بابيات العادات ) وهي آيات ظامرة اللفظ  
والمعنى الا انها غامضة من جهة القصد والمرمى فلا يفهم مراد قائلها الا بمعرفة عادة من  
عادات العرب او مزعم من مزاعمهم بني عليه البيت كقول الخنساء في رثاء اخيها معاوية  
فلا والله لا تسلاك نفسي لفاحشة اتيت ولا عتوق  
ولكني رأيت الصبر خيراً من التعلين والرأس الحليق

فليس في الفاظ البيتين لفظ غريب غير مفهوم كما ان معناهما ظامراً في غاية الوضوح  
وانما الاشكال في مرادها بالتعلين والرأس الحليق فاذا عرفنا ان العادة كانت عند  
نساء العرب اذا احبن في حميم ان يحلقن رؤوسهن وتأخذ الواحدة منهن تملين في يديها  
تصفق بهما وجهها زال عنا الاشكال واستبان لنا القصد . وفي معنى بيتي الخنساء  
قول عبد مناف بن ربيع الهذلي

ماذا يغير ابنتي ربيع عر يلها لا ترقدان ولا بوئسى لمن رقدا  
كلماتهما أبطلت احشاً وهاقصاً من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا  
اذانا وب نوح قامتا معه ضربا اليما بسبت يلعب الجلودا  
وهو نوع من الشعر لم ارم اعتنوا بجمعه اعتناءهم بابيات المعاني . فتنه قول زهير  
ابن ابي سلى

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهدم  
الزجاج بالكسر جمع زج بالضم وهي حديدة تكون في ساقلة الرمح والهدم السنان  
ويكون في عاليته وظاهر المعنى ان من ابى الصلح ذلته الحرب او من لا يقبل الامر  
الصغير اضطر الى قبول الكبير والبيت مع صلاحه لهذا المعنى فانه يتضمن شيئاً آخر من  
عادتهم وذلك ان الفئتين من العرب كانتا اذا التقتا في القتال سددت كل واحدة  
منهما زجاج الرماح نحو صاحبتهما ثم يسعى الساعون في الصلح فان ابتدا الا التماذي سيف  
القتال قلبت كل واحدة منها الرماح واقتتلتا بالاسنة  
( ومن آيات العادات ) قول النابغة الذهاني :

فت كاني ساورني ضئيلة من الرقش في انسابها السم نافع  
يسهد من ليل التام سليمي حلي النساء في يديه قعاقع  
السليم الملدوغ وفانت عادتهم كما في لسان العرب وشرح الديوان ان يضعوا في ايدي

المهدوغ شيئاً من الحلي لثلاثين عاماً فيدب السم في جسده فيقتله ومثله قول الآخر  
فبت معنى بالمعموم كأنني سليم نفي عنه الزقاد الجلال  
قلت وغريب تقارب بعض العادات عند الأمم فقد حكى لي شيخ من من الجراكسة  
أن من عاداتهم في بلادهم أنهم لا يدعون الجريح ينال ثلاثين يوماً على زمهم فيعملون  
حوله من يقرع على طست أو قدر من النحاس ليوقفه كلما اغنى ولا يزالون يتناوبون  
ذلك حتى يتم شفاؤه .

(ومن آيات العادات) قول الربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي  
من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار  
يجد النساء حواسراً يندبته يلعنن أوجههن بالاسحار  
فإن مراده أن من كان شامئاً مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا وهن على هذه  
الحال ليعلم أننا أخذنا بثأره فلا يثمت به وذلك لأن العرب كانت تندب قتلاها بعد  
أدراك الثأر وقد حكى التبريزي أقوالاً أخرى في البيتين تخرجها عما نحن فيه .  
(ومنها) قول الكيث

احلامكم لسقام الجبل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب  
جاء في معاهد التنصيص قال ابن الأعرابي : كانت العرب تقول من أصابه الكلب  
أو الجنون لا يبرأ منه إلا أن يسقى من دم ملك فهو يقول إن ممدوحه أرباب العقول  
الراجعة ملوك وأشرف ومثله قول القاسم بن حنبل من شعراء الحماسة  
بنات مكارم وأساءة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء  
وقد حكى التبريزي في شرحه نحواً مما حكاه ابن الأعرابي ثم قال وقيل في دوائه  
أن تشرب الأصبع الوسطى من يسرى رجل شريف ويؤخذ من دمه قطرة على تمر  
فيطعم المعفوض فيبرأ وقيل أنه يسعط به انتهى . ومثله قول عبد الله بن الزبير  
(بفتح الزاي وكسر الباء) الأسدي في عبده بن زياد

من خير بيت علماء وأكرمه كانت دماؤهم تشفي من الكلب  
وقول عبده بن قيس الرقيات  
عاودني النكس فاشتفيت كما تشفي دماء الملوك من كلب  
وقول ابن عباس الكندي لبني أسد في قتلهم حجر بن عمرو  
عبيد العصا جثتم بقتل رئيسكم تريقون تالمورا شفاء من الكلب

الثامور هنا الدم . وكلهم اتفصروا على ذكر الكلب وقد جمع الفرزدق بينه وبين الجنون فقال :

ولو تشرب الكلبى المراض دماءنا شفتها وذو الغبل الذي هو أدلف  
وذكر الجنون عامم بن فرية الجاهلي فقال :

ودأوبته بنا به من بحنة دم ابن كهل والنطاسي واقف  
وقلدته دهرأ قمحة جده وليس لشي كاده الله صاوف

صادف بمعنى صارف . قال الجاحظ وكان اصحابنا يزعمون ان قولهم دماء الملوك شفاء من الكلب على معنى ان الدم الكريم هو الثأر المنيم وان داء الكلاب على معنى قول الشاعر :

كلب من جس ما قد سه وافانين فواد محتل

وعلى معنى قولهم ( كلب يضرب جباهم ورقاب ) فاذا كلب من النيط والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلب وليس ان هناك دماء في الحقيقة يشرب ولولا قول عامم ابن الفرية ( والنطاسي واقف ) لكان ذلك التأويل جائزاً انتهى كلامه . قلت وقد تطرف البحترى فقال يهني من انتصد واخرجه مخرج هذا الزعم عند العرب  
ليهنك البره مما كنت تأله وليهنك الاجر عقي صائب الوصب  
لئن فصدت ابتغاء البره من سقم فقد ارقت دماء يشني من الكلب  
( ومن آيات العادات ) قول القائل :

ولا عيب فينا غير عرق لعشر كرام وانا لا نخط على النمل

النمل هنا جمع نملة وهي فرحة تخرج في الجسد ولولم يكن البيت مبنياً على عادة لهم لما كان معنى لا تفخار به انه ممن لا يخطون على تلك القروح ولكن مراد الشاعر اننا لسنا بجوس تزوج الاخوات لزعم العرب ان ابن الجهمي اذا كان من اخته وخط يده على النملة ابرأها كذا في كذايات الجرجاني وذكر صاحب اللسان والعلامة ابن القيم في كتابه الفوائد المشوق الى علوم القرآن واهل البيان ان ذلك من زعم الجوس انفسهم . قلت لا مانع من ان يكون انتقل منهم الى العرب فاعتقدوه وضافوه الى مزاعمهم في الجاهلية كما انتقلت لبعضهم اشياء من التمجس عن الفرس .

( ومنها ) قول سيرة بن عمرو الفهمي

انسى دفاعي عنك اذ انت مسلم وقد سال من ذل عليك فرافر

ونسوتكم في الروح باد وجوهها 'يخاف' اماء والاماء حرائر  
وذلك لان الحرائر كن في مثل ذلك الوقت يتشبهن بالاماء سيفه كشف وجوههن  
ليزهد فيهن فيأمن السبي كما في شرح الحماة لانتبريزي وقال ايضا في تفسير قول  
عمرو بن معد يكرب

لما رأيت نساءنا يفحصن بالميزاء شدا  
وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى

ان المعنى برزت كاشفة عن وجهها كأنها قد ارسلت نقابها ودل على هذا بقوله  
كأنها بدر السماء اذا تبدى وانما فعلت ذلك اما للتشبه بالاماء حتى تأمن السباء او لما  
تدخلها من الرعب انتهى . قلت وليس من هذا ما انشده الاشناداني في كتاب معاني  
الشعر لذي الخرق الطهوي او لغيره

ولما رأين بني عاصم ذكرن الذي كن أنسينه  
فوارين ما كن حصرنه واخفين ما كن ابدينه

لان معناه كما فسره انهن نساء قد سبين قسرين الحياء وابدين وجوههن فلما رأين  
بني عاصم ايقن انهن قد استنقذن فراجعن حياءهن فسترن ما كن ابدينه انتهى .  
(ومنها) قول عنترة

تركت جرمية العمري فيه شديد العير معتدل شديد  
فان يبرأ فلم انت عليه وان يفقد فحق له الفقوم

يريد تركته وفيه سهم شديد العير والعير الناقص وسط النعل والبيت الثاني بني على  
عادة كانت لهم وهي ان الرجل منهم كان اذا رمي بسهم واراد سلامة الرمية منه رقى  
سهمه واذا اراد الاهلاك لم يفعل ذلك

(وهي) قول كبشة اخت عمرو بن معد يكرب

ارسل عبد الله اذ حان يومه الي قومهم لا تعقلوا لم دمي  
ولا تأخذوا منهم افالا وابكرا واترك في بيت بصعدة مغالم

البيت الاول مخروم وصعدة مخلاف من مخالفات الين والمعنى ان هذا المرثي ارسل  
يقول لقومهم بلسان الحال لا تأخذوا بدل دمي عقلا اي دية وتتركوني في قبر مغلم تريد  
بذلك تحرمهم على اخذ الثأر ولا يفهم من ظاهر قولها بيت مغلم الا حكاية الحال لان  
القبر لا يكون الا مغلما ولكن الامر ليس كذلك بل هو مبني على ما كانوا يزعمون ان

قبر المقتول لا يزال مظلماً حتى يثأروا به فإن فعلوا ضاء .

(ومنها) قول جرير يرثي قيس بن ضرار

أظن أنهال الدمع ليس بـتـه عن العين حتى يضمحل سوادها

و"حق" لقيس أن يباح له الحلي وإن تعقر الوجنا إن خف زادها

وهو مبني على عادة لم وهي أن الرجل كان إذا مر بقبر رئيس وهو في صحبة أحب أن ينوب عن المتجور في الضيافة وإذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس إليه عقر نافته أكراماً له . ولما قتل ربيعة بن مكرم كان لا يمر بقبره أحد من العرب إلا عقر عليه دابة أو بعيراً حتى مر به شيخ كبير فقال لا عقر نافتي ولكن أريته مكان ذلك ورثاه بقوله :

لا يبعدن ربيعة بن مكرم وسقى الغواذي قبره بذنوب

نفرت قلوب من حجارة حرة بنيت على طلق اليمين وهوب

لا تنفري يأتاك منه فإنه شرّيب خمر مسعر لحروب

لولا الدمار وبمدخرق مهمة لتركتها تجو على العرقوب

فكان أول من ترك العقر عليه

(ومنها) قول الحطيئة

قد ناضلوك وسلوا من كنانتهم مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاس

قال التبريزي في شرح الحماسة أراد بالمجد التليد أن الشجاع منهم كان إذا أمر فارساً مذكوراً فن عليه جزن ناصيته وجعلها في كنانته . وفسره ابن أبي الأصبع سيفه كتابه بديع القرآن تفسيراً آخر فقال معنى هذا البيت لا يعرفه إلا من صرف أن عادة العرب إذا منوا على أسير أعطوه نبلاً من ثيابهم عليها إشارة تدل على أنها لأولئك القوم لا تزال في كنانته فقال الحطيئة لهذا الممدوح الذي عناه بهذا المدح أن عدلك لما فاخروك سلوا من كنانتهم نبلك التي أعطيتها لم حين مننت عليهم تشهد لك بأنهم عنقاؤك فكان هذا مجداً تليداً لك لا يقدر أن يجهده ثلبته لك هذه النبيل التي ليست بأنكاس يعني الصائبات التي لا تنكس إذا ناضلت بهاء عن العرض وهذا غاية المدح للممدوح ونهاية الهجاء لعداء إذا خبرناهم مع معرفتهم بفضلهم بفاخروهم بما إذا اظهروه أثبت له الفضل عليهم وهذا غاية الجهل منهم والغباء انتهى كلامه .

(ومنها) قول سحيم هدي الحساس

فكم قد شققنا من رداء منير ومن برقع عن طفلة غير عانس  
 اذا شقَّ برد شق بالبرد برقع دواليك حتى كئسا غير لابس  
 جاء في شرح شواهد الجمل ان العرب كانت تقول ايما امرأة احبت رجلا فلم يشق  
 برقعها وتشق هي رداءه فسد ما بينهما انتهى . و يروى ( اذا شق برد شق بالبرد مثله )  
 وسكوا ان العرب كانت تزعم ان المختابين اذا شق كل واحد منهما ثوب صاحبه دامت  
 مودتهما ولم تفسد .

( ومنها ) قول عمر بن ابي ربيعة

أهيم بها في كل ممسى ومصبح واكثر دعوها اذا خدرت رجلي  
 لانهم كانوا يزعمون ان الرجل اذا خدرت رجله وذكر من يجب او دعاه ذهب  
 خدرها . ومثله لجليل

وانت لعيني قرة حين نلتني وذكرك يشفيني اذا خدرت رجلي  
 ( ومنها ) قول الاعشى

وبأمر للجحوم كل عشية بقت وتعلق فقد كاد يستق

روى الثعالبي في فقه اللغة يعين بدل قت . والجحوم فرس كان للنعمان بن المنذر  
 والسبق في الدواب بمنزلة النخعة في الانسان وليس في ظاهر معنى البيت ما يستحسن بل  
 قال فيه بعض من لا يعرف عاداتهم ان القيام على الفرس والاهتناء بعلفه حتى يكاد  
 يغتم ليس مما تمدح به السوقة فضلا عن الملوك ومراد الشاعر وراء كل هذا لانه بناء  
 على عادة كانت للملوك العرب وذلك انه بلغ من حزمهم ونظرم في العواقب ان احدهم  
 لا يبيت الا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه قربا منه مخافة عدو يقبضه او  
 حالة تصعب عليه فكان للنعمان فرس يقال له الجحوم يتعاهده كل عشية وهذا مما تمدح  
 به العرب من القيام بالغيل وارتباطها بانثية البيوت كما في العقد الفريد . وقد ذكر  
 الاعشى الجحوم ايضا في قوله

او فارس الجحوم يتبعهم كالطلق يتبع ليلة البير  
 يعني بفارسه النعمان وقال ليبد

والخارثان كلاما ومحرقي والنعمان وفارس الجحوم

( ومنها ) قول الشاعر

كفالك الله يا هضم بن لامي حبال بني ابيك وم عيام

إذا مروا ببيزك لم يعرجوا ولو غطى سبيلهم الظلام  
عيام اي شهاوى الى اللبن وبيزك يعني بنواحيك جمع حيزة بالكسر . وكان  
من عادتهم ان الرجل كان يحمل حبلا ويسترفد عشرته فاذا اعطى الشاة والحاشية من  
الابل ربطها بالحبل كذا في معاني الشعر للاشتانداني والبيت اقرب لآيات المعاني .  
لايات العادات .

( ومنها ) قول الآخر يصف حمرا

يلوي مجامع لحيه فكأنه لما تحفظ في السجيل نقيب

نقيب اي منقوب الحنجرة وكان من عادة العرب اذا اشتد الزمان نقبوا حنجرة  
الكلب او غلصته ليضعف صوته . فلا يسمع الضيف صياحه فثبه نهيق هذا الحمار  
بصياح الكلب النقيب . وفي اللسان ان ذلك كان يفعله الجلاء من العرب لئلا  
يطرقهم ضيف باستماع نباح الكلاب . واشتد الاشتانداني في معاني الشعر  
تجاوبن اذ بركن والليل غاسق تعاوي منقوبات جبي محارب  
وقال في تفسيره المنقوبات الكلاب كانوا اذا اشتد الزمان نقبوا لسان الكلب  
لئلا يسمع نباحه يقول فهذه الابل كأنها منقوبات يصف ابلا معينة فهي ترغو رغاء  
ضعيفا .

( ومنها ) قول الآخر

تلفت نحو الحي حتى وجدتي وجعت من الاصفاء ليتاخذع

فظاهر معناه انه لشدة شوقه الى الحي اكثر التلفت نحوه حتى وجعته عنقه .  
ولكن الراغب الاصفهاني في محاضراته حمله على عادة كانت لهم وهي زعمهم ان المسافرين  
اذا خرج فالتفت لم يتم سفره قال فالتفتاته لانه كان عاشقا فأحب ان لا يتم سفره ليرجع  
الى من يحب .

( ومنها ) قول بشر بن ابي خازم ( بالغاه المجععة والزاي )

تظل مقاليت النساء يطأنه يقان الا يلقى على المرء مئزر

المقاليت جمع قلات بالكسر وهي التي لم يبق لها ولد . والبيت مبني على ما كانت  
العرب تزعم ان المقالات اذا ولدت رجلا كرميا قتل شذرا عاش ولدها كذا في اللسان  
( ومنها ) قول متم بن نويرة في اخيه مالك

لقد كفن المنهال تحت ردائه فني غير مبطان العشيات أروعا

وكان المنهال قتل مالكاً والرداء هنا السيف وكانت العادة عند العرب اذا قتل الرجل منهم رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله كما في اللسان .  
(ومنها ) قول القائل

فقات لما عين النجيل تعيفا وفيهن رعلاء المسام والهامي  
انشده الجاحظ في البيان والشيدين والفعل بفتح فكسر الفحل الكريم وانشد ايضا  
ومب لنا وانت ذوامتان ثقفا فيها امين البعران  
وانشد ايضا

فكان شكر القوم عند المن كي الصحيجات وفقه الاعين  
وكلها مبنية على عادة كانت لم ذكرها الجاحظ وهي انهم كانوا اذا بلغت ابلم الفا  
فقوا عين الفحل فان زادت فتوا عينه الاخرى قال فذلك المفق والمعي . وفي مادة  
( عمى ) من اللسان قال الازهري وقرأت بخط ابي الهيثم في قول الفرزدق  
غلبتك بالمقي والمعي وبيت المحنبي والخلفات

قال نضر الفرزدق في هذا البيت على جرير لان العرب كانت اذا كان لاحدم الف  
بغير فق عين بغير منها فاذا تمت الفان عماء وأعماء فانفخر عليه بكثرة ماله قال والخلفات  
الرايات انتهى ما في اللسان . نلت اذا كان معنى البيت على ما فهمه ابو الهيثم كان  
الصواب ان يكون المفق بصيغة اسم المفعول لا بصيغة اسم الفاعل . وقد روى البيت في  
مادة فقاً ( بالمقي والمعي ) بالنون ونقل المصنف عن الليث ان العرب كانت في الجاهلية  
اذا بلغ ابل الرجل منهم الفا فتأ عين بغير منها وسرحه حتى لا ينتفع به ثم حكي عن  
الازهرني ان معنى المقي في هذا البيت ليس على ما ذهب اليه الليث وانما اراد الفرزدق  
قوله لجرير

ولست ولو فقات عينك واجدا أبالك ان هد المسامي كدارم  
انتهى . قلت القول ما ذهب اليه الازهري لما سيرد عليك والظاهر ان الذي حمل  
الليث على ان يفهم في المقي ما فهم كون المعنى يطلق على حمل كانت اهل الجاهلية  
ينزعون مناسن فقرته اي حروفها وبقرون سنانه لثلا يركب ولا ينتفع بظهوره بفعل  
ذلك الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة ليعرف انه محمي . فظن الليث ان الفرزدق اراده  
مفعل المقي عليه وكان وجه على ما فهم ان يرسم ايضا بصيغة اسم المفعول كما قدمنا .  
والصواب في معنى البيت ما ذكره صاحب اللسان في مادة ( عا ) نقلا عن ابن سيده

ان مراد الفرزدق بالمعنى، يشته في جرير المتقدم ذكره ومراده بالمعنى ( ضبط بكسر  
التون ) قوله له

تعنى يا جرير لغير شيء وقد ذهب القعائند للرواة  
فكيف ترد ما بعمان منها وما بجبال مصر مشيرات  
وتقل عن الجوهرى ان مراده بالمعنى قوله

فانك اذ تسعى لتدرك دارمك لأنك المعنى يا جرير المكاف  
قلت وعليه يصح ضبط المعنى في بيت الفرزدق بالفتح . قال واراد بالحقى قوله  
بيت زرارة محنتى بفنائى ومحاشى وابو الفوارس نهشل  
لا يحنتى بفناء بيتك مثلهم ابدا اذا عد الفعّال الافضل  
واراد بالخافقات قوله

واين يقضى المالكان امورها بحق واين الخافقات اللوامع  
اخذا بافاق السماء عليكم لنا قمرها والنجوم العلوانع  
اي غلبتك باربعة قصائد منها هذه الايات وعلى هذا لا بعد البيت من آيات  
العادات وانما اطلت الكلام فيه لانه كان سببا لخلاف استطراد سرره بين بعض الادباء  
بمصر

( ومن آيات العادات ) قول آدم مولى بلعبر  
وان اراد جدل صعب أرب خصومة تنقب اوساط الركب  
اطلعة من رتب الى رتب  
من رجز بقوله لابنه انشد الجاحظ في البيان والتبيين . وقد يسأل لم كانت هذه  
الخصومة تنقب الركب فالجواب انه كان من عادتهم اذا تخاسموا جثوا على الركب  
( ومنها ) قول عتبة بن بجير المازنى من شعراء الحماسة  
ومستبج بات العدى يستبجه الى كل صوت فهو في الرجل جانح  
فقلت لاهلى ما بغام مطية وصار اضافته الكلاب النواج  
فقالوا غريب طارق طوحت به متون الفياضى والخطوب العوارخ  
وهذا مبني على عادة وهي ان الرجل من العرب كان اذا ضل وتغير في الليل فلم  
يدر اين البيوت اخرج صوته على مثل النباح فتسمعه الكلاب وتظنه كلبا فتنبج فيستدل  
بنباحها ويهتدي الى المكان . ومثله ما انشده ابو علي الغفالى في اماليه

ومستنجح بات الصدى يستجيبه فتاه وجوزالليل مضطرب الكسر  
رفعت له نارا ثقوباً زادها تليح الى الساري هلم الى قدري  
وانشد ايضاً في معناه

ومبدر لي الشحنة بيني وبينه دعوت وقد طال السري فدعاني  
يعني كلاً نفع له فتبع فاعتدى به فكانه دعاه بنجاحه . والايات في هذا المعنى  
كثيرة لا فائدة من سردها في هذه العجالة . وفي معنى استنجح ايضاً كلب الرجل  
يكلب من باب ضرب واستكلب انشد ابن سيده في المختصر على الاول  
وداع دعا بعد ما افقرت عليه البلاد ولم يكلب  
وانشد صاحب اللسان على الثاني : ونفع الكلاب لمشكل :  
(ومنها) قول لبيد

والقد حيت الحي تعمل شكتي فرط وشاحي اذ غدوت لجامها  
الفرط بفتحين الفرس المتقدمة السريعة والمعنى انني توشحت بلجام هذه الفرس  
وهو مبني على عادة ذكرها التبريزي في شرح المعلقات وهي ان الفرسان كان احدهم  
يتوشح بلجام فرسه ليكون ساعة يفزع قريباً منه وتوشحه اياه ان يلقيه على عائقه ويخرج  
منه بده . ومنه قول زياد بن حمل من شعراء الحماسة

ليست عليهم اذا يغدون اربعة الاجنياد قسي النبع والجم  
(ومنها) قول القائل

قلبت ثيابي والظنون تجول بي وترمي برجلي نحو كل سبيل  
فلا يا بلائي ما عرفت جليبي وابصرت قصداً لم يصب بدليل  
لان عاداتهم كانت اذا ضل رجل منهم في فلاة قلب قبضه وصفي يديه كأنه  
يومي بهما الى انسان يزعمون انه ان فعل ذلك اعتدى . هذا ما تبسر لي جمعه الآن  
فان ظفرت بشيء بعد ذلك الحقته به .

احمد نيمور

القاهرة